

عن الشعرية والأقصوصة

أ.د. عبد النبي اصطيّف(*)

يحمل نشر قرارات «لجنة اللغة العربية وعلومها» في مجمع اللغة العربية بدمشق خلال عام ٢٠٠٩-٢٠١٠م^(١) دعوة ضمنية لكل ناطق بالعربية إلى المشاركة في هذه القرارات التي وضعتها اللجنة بين يديه. ذلك أن نشرها، فيما يبدو لصاحب هذه السطور، ليس مجرد إعلام للمعنيين بهذه اللغة واستعمالها في الحياة المعاصرة، وإنما القصد منه حفزهم على مشاركتها فيما تؤديه من عمل جليل، وتقديم العون اللازم لها لاتخاذ القرار السليم الذي يخدم جلّ مستعملي هذه اللغة، وذلك بإبداء ما يرونه من آراء واقتراحات، استناداً إلى أن اللغة - أية لغة إنسانية - إنما هي بمن يستعملها، وأنها ملك للأمة كلها، ومن ثمّ فإن كل غيور عليها مدعوّ إلى التعبير عن حرصه على سلامتها بالمشاركة في نقاش مسائلها، واقتراح ما يبدو له، بغرض مراجعته من جانب اللجنة ودخوله في مداولاتها وما تخرج به من قرارات.

(*) قسم اللغة العربية وآدابها - كلية الآداب والعلوم الإنسانية - جامعة دمشق.

(١) انظر: «من قرارات مجمع اللغة العربية في الألفاظ والأساليب عامي ٢٠٠٩-٢٠١٠»، مجلة

مجمع اللغة العربية بدمشق، المجلد السابع والثمانون، الجزء الثالث، شعبان ١٤٣٣هـ/ تموز

٢٠١٢م، ص ٩٠٩-٩٣٢.

وبوصفي معنياً بمصطلحات الأدب والنقد، ولاسيما المصطلحات المستمدة من التقاليد النقدية والأدبية الغربية، فقد شاقني قرار اللجنة ذو الرقم ٣٥ الذي تناولت فيه مصطلح «الشعرية»^(٢).

وأول ما يحسن بالمرء أن يشير إليه، في هذا المقام، أن مصطلح «الشعرية» أو «فن الشعر» أو البويطيقا *poetics*، قد استعمل في التقاليد الأدبية والنقدية اليونانية، وفيما بعد في نظيرتها الرومانية، للإشارة إلى (فن الأدب)، لأن هذا الفن الجميل كان يُصاغ شعراً، وكان هذا الشعر موزعاً على ثلاثة أشكال هي: الشعر الغنائي *Lyrical Poetry*، والشعر الملحمي *Epic Poetry*، والشعر المسرحي *Dramatic Poetry*. ومعنى هذا أن النقاد التابعيين (الكلاسيكيين) عندما كانوا يناقشون فن الشعر كانوا يناقشون فن الأدب، ومعنى هذا أيضاً أن «الشعرية» هي نظرية الأدب الداخلية المنبثقة من داخل نصوصه، والقارئ لكتاب فن الشعر الذي وضعه أرسطو، يتبين بسهولة أن الرجل كان يضع في ذهنه نصوص الأدب اليوناني، القديمة منها والمعاصرة، عندما عرض لنظريته فيها، ورد الفنون جميعها إلى المحاكاة *mimesis* التي صنف الأجناس الأدبية تبعاً لأداتها، وموضوعها، ونمطها، فكان منها الشعر الغنائي، والمسأسة، والملحمة، و(الدثيرامب)^(*)، وغيرها. يكتب (تزيفيتان تودوروف)^(٣) في المعجم الموسوعي لعلوم اللغة (الذي

(٢) انظر المرجع السابق، ص ٩٢٩.

(*) الدثيرامب: قصائد حماسية تمجّد الآلهة الإغريقية. [المجلة].

(٣) ربما يحسن بالمرء الإشارة إلى أن تودوروف كان من مؤسسي مجلة *Poétique* المعروفة ومحرريها، والتي عُيّنت بنظرية الأدب الداخلية بشكل خاص. وانظر:

Peter Brooks, "Introduction", in: Oswald Ducrot and Tzvetan Todorov, *Encyclopedic Dictionary of the Sciences of Language*, Translated by Catherine Porter (Blackwell, Oxford, 1981), p. VIII.

ألفه بالاشتراك مع أوزوولد دو كرو):

«يشير مصطلح «فن الشعر» *Poetics* كما نقله إلينا التراث أول ما يشير إلى أية نظرية داخلية للأدب، وينطبق ثانياً على الخيار الذي اعتمده مؤلف ضمن جميع الممكنات الأدبية (على نظام الموضوعاتية، والتأليف، والأسلوب، وهكذا). ويمكن بهذا المعنى أن يتحدث الناقد عن «فن الشعر الخاص بهوغو». ويشير ثالثاً إلى القوانين المعيارية التي أنشأتها مدرسة أدبية؛ أي إلى مجموعة من القواعد العملية الواجب استعمالها»^(٤).

ويؤكد في كتابه مدخل إلى فن الشعر (أو الشعرية) أن «فن الشعر أو الشعرية مقارنة للأدب مجردة *abstract* وداخلية *internal* في آنٍ معاً»^(٥).

أما صفة «الشعرية» التي تستعمل في العربية الحديثة والمعاصرة فإنه يُراد بها نظرية الأدب الخاصة بجنس من أجناسه والمنبثقة من نصوص هذه الأجناس، وبذلك يمكن الحديث عن شعرية القصة القصيرة، أو شعرية الرواية، أو شعرية المسرح، بل عن شعرية أي فن، بمعنى نظريته المنبثقة من أمثله ونماذجه.

أو يراد بها الإشارة إلى الصفة الغالبة على نص ما، والتي تُقربه من جنس الشعر، وهكذا يمكن الحديث عن شعرية لغة مسرحية ما، أو قصة قصيرة ما، أو رواية ما، بمعنى اتصافها ببعض صفات الشعر التي تغلب عليها.

ورغبة في إزالة أي لبس بين المدلولين، فإنه يمكن استعمال مدلول خاص

(٤) انظر: Oswald Ducrot and Tzvetan Todorov, *Encyclopedic Dictionary of the Sciences of Language*, pp.78-79.

(٥) انظر: Tzvetan Todorov, *Introduction to Poetics*, Translated from the French by Richard Howard, Introduction by Peter Brooks (University of Minnesota Press, Minneapolis, 1981), p.6.

بكلّ منهما، فيستعمل لفظ «الشعرية» للإشارة إلى نظرية الأدب الداخلية المنبثقة من نصوص أحد أجناسه، ويستعمل لفظ «الشاعرية» بوصفها صفة تغلب على نصّ ما، فتقرّبه من جنس الشعر بوجه من الوجوه.

أما مصطلح «الأقصوصة»^(٦) للدلالة على القصة القصيرة، فإن المرء، على تقديره لمُحاجة اللجنة، وبراعة تعليلها المستند إلى القياس على وزن «أفعولة» الذي تحفل العربية بكلمات تلتزم به، ربما يميل إلى أن يفضل استعمال مصطلح «القصة القصيرة» (وهو ترجمة للمصطلح الإنكليزي *The Short Story*) لأن مصطلح (الأقصوصة) لا يتضمن فكرة (القَصْر)، ولما كانت صفة "القصيرة" هي المحدد الأهم لهذا الجنس الأدبي الفرعي أو الثانوي، فإنه ينبغي لذلك التمسك بها وإلحاقها بلفظ «القصة»، توخياً لمزيد من الوضوح والدقة، وهما صفتان مرغوبتان في أي مصطلح أدبي أو نقدي.

ذلك أن مصطلح أي علم أو فن أو نشاط عقلي منظم ينبغي أن يكون دقيقاً وواضحاً ومُجمَعاً عليه، ولا يكون ذلك إلا باستعمال دالّ محدد *Signifier* للإشارة إلى مدلول محدد *Signified*، وإلا فإننا نقع في فوضى المصطلح، مما يفضي بنا إلى فوضى التفكير، لأن أداة التفكير المنظم إنما هي اللغة، وأداة التفكير في أي فن أو علم إنما تكون بمصطلحاته. والحقيقة أن مفاتيح العلوم، كما يقول الدكتور عبد السلام المسدي، مصطلحاتها، «ومصطلحات العلوم ثمارها القصوى. فهي مجمع حقائقها المعرفية وعنوان ما يتميز كل واحد منها عما سواها. وليس من مسلك يتوسل به الإنسان إلى منطق العلم غير ألفاظه

(٦) انظر: «من قرارات مجمع اللغة العربية في الألفاظ والأساليب عامي ٢٠٠٩-٢٠١٠»،

الاصطلاحية حتى لكأنها تقوم من كل علم مقام جهاز من الدوال ليست مدلولاته إلا محاور العلم ذاته، ومضامين قدره من يقين المعارف وحقيق الأقوال. فإذا استبان خطر المصطلح في كل فن توضح أن السجل الاصطلاحي هو الكشف المفهومي الذي يقيم للعلم سوره الجامع وحصنه المانع، فهو له كالسياج العقلي الذي يرعى حرماته رادعاً إياه أن يلابس غيره، وحافظاً غيره أن يلتبس به. ومتى تحلّ الدالّ بخصلتي الجمع والمنع كان على صعيد المعقولات بمثابة الحد عند أهل النظر المقولي الذين هم المناطقة فيكون للمصطلح الفني في أي شعبة من شعاب شجرة المعرفة الإنسانية سلطة ذهنية هي سلطة المقولات المجردة في علم المنطق: فلا شذوذ إذا اعتبرنا الجهاز المصطلحي لكل علم صورة مطابقة لبنية قياساته متى فسد فسدت صورته، واختلت بنيته فيتداعى مضمونه بارتكاس مقولاته».

■ والله من وراء القصد^(٧).

(٧) انظر: د. عبد السلام المسدي، قاموس اللسانيات: عربي - فرنسي، فرنسي - عربي، مع مقدمة في علم المصطلح، (الدار العربية للكتاب، تونس، ١٩٨٤)، ص ١١.